مجلة الشريعة والاقتصاد
ISSN : 2335-1624
E-ISSN : 2588-2392
المجلد10 / العـدد: 2 (2021) ص 96-114

فقه العمران والاجتماع عند الإمام عبد الحميد بن باديس-رحمه الله-

The Jursprudance of Urbanization and Sociology According to Imam Abd al-Hamid ibn Badis -may god have mercy on him

أشرف جلال ابن أودينة
المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الجزائر1. الجزائر، acherafdjallel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/ 05/25 تاريخ القبول: 2021/12/19 تاريخ النشر: 2021/12/30

الملخص:

يتعلق موضوع هذا البحث بفقه العمران والاجتماع عند الإمام عبد الحميد بن باديس-رحمه الله- حيث يرى أنّ القرآن الكريم كتاب عمران تستمد منه القواعد والضوابط التي تكون سببا في تطور العمران، والرقي والتمدن في ضوء الشريعة الإسلامية ومقاصدها. كما يرى أنّ مصطلح الحضارة والتمدن يرجع إلى مقصد عمارة الأرض وامتلاك وسائل التعمير. وأنّ الحضارة مهما بلغت من الازدهار والتطور فمصيرها إلى الزوال إذا لم تقم على الإيمان والعلم والأخلاق، وأنّ الإسلام قد سبق إلى وضع أصول المصالح التي قام عليها التمدن، وأنّ قيام المدنية الحقة يرجع إلى العناية بالعلم والأخلاق، خلافا للمدنية الغربية التي كانت سببا في تفشي الأمراض في المجتمعات، وذلك لقيامها على

Abstract

The subject of this research is related to the jurisprudence of urbanism and sociology of Imam Abd al-Hamid Ibn Badis - may God have mercy on him - where he believes that the Noble Qur'an is the Book of Imran from which the rules and regulations are derived from the development of urbanization, advancement and urbanization in the light of Islamic law and its objectives. To the purpose of building the land and owning the means of reconstruction. And that civilization, regardless of its prosperity and development, is destined to disappear if it is not based on faith, science and morals, and that Islam has previously established the principles of interests on which civilization is based, and that the rise of true civilization is due to the care of science and morals, in contrast to Western

المنارة للاستشارات
www.mar

الماديات، ومخالفتها للأصول التي جاء بها القرآن، من حق وعدل ورحمة. كما يقرّر أنّ التقدم في العمران مرتبط ارتباطا وثيقا بتوفر نعمة الأمن، وتحقيق مقصد الاجتماع والترافق والتعاون، وأنّ المساواة بين البشر من أعظم قواعد المدنية. وأنّ بناء النهضة غير مقتصر على الرجال، بل لابد من مشاركة النساء في بناء النهضة والعمران.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس، فقه، العمران، الحضارة، المدنية، الاجتماع.

civilization that was the cause of the outbreak of diseases In societies, because it is based on materialism and contradicts the principles that the Qur'an brought, with right, justice and mercy. It also states that progress in urbanization is closely related to the availability of the blessing of security, the achievement of the purpose of meeting, companionship and cooperation, and that equality among human beings is one of the greatest rules of civilization. Building the renaissance is not limited to men. Rather, women must participate in building the renaissance and construction.

Key Words: Ibn Badis, Jurisprudence, Urbanization, Civilisation, Civil, Social.

مقدمة:

إنّ الناظر في آثار الإمام ابن باديس–رحمه الله– يقف على نظرة مقاصدية راقية في فقه العمران والاجتماع، نابعة عن فهم عميق ،ومتميز لكتاب الله تعالى، تميّز به عن سائر العلماء المشتغلين بتفسير القرآن، حيث يقرر الإمام ابن باديس–رحمه الله– في بيان وجوه إعجاز القرآن الكريم ،أنّ إعجاز القرآن غير محصور في البلاغة والبيان ،وأنّ إعجازه له ناحيتين ناحية بلاغية تتعلق بفصاحة القرآن وبيانه، أذعن لها أهل اللغة واللسان ،وناحية علمية أعمّ من الأولى وأعظم يذعن لها كل من له عقل وفهم من الأمم ،كما يقرر– رحمه الله–أنّ القرآن العظيم يحتوي على أسرار علمية كثيرة منها أسرار العمران والاجتماع وما تصلح عليه حياة الإنسان مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم.

قال –رحمه الله– في بيان أوجه الإعجاز في كتاب الله تعالى: "إنّ القرآن أعجز العرب ببلاغته حتى عرفوا وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم أنه ليس مثله من طوق البشر. هذه هي الناحية الظاهرة في إعجاز القرآن والإستدلال به له ولمن أتى به صلى الله عليه وآله وسلم. **وهنالك ناحية أخرى هي أعظم وأعم وهي ناحيته العلمية** التي يذعن لها كل ذي فهم من جميع الأمم في كل قطر وفي كل زمن... وما ذكر من حقائق كونية كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة كالزوجية في كل شيء وسبح الكواكب في الفضاء وسير الشمس إلى مستقر مجهول معين عند الله لها **وغير ذلك من أسرار العمران والإجتماع وما تصلح**

المنارة للاستشارات
www.mar

عليه حياة الإنسان مما تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم. فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق"[1].

إشكالية البحث:

إنّ الناظر في آثار الإمام ابن باديس العلمية من خلال تفسيره لكتاب الله تعالى، وشرحه لحديث رسول الله- صلّى الله عليه وسلّم-يقف على عنايته -رحمه الله تعالى- بتقرير القواعد والضوابط التي تكون سببا في تطور العمران والرقي والتمدن نابعة من نظر خاص وفهم دقيق لأوجه الإعجاز في كتاب الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يدفعنا إلى طرح الإشكالات التالية:

-ما هي ماهيّة الحضارة والمدنية في فقه ابن باديس-رحمه الله تعالى-؟

-وما هي إسهامات ابن باديس في فقه الاجتماع والعمران؟

ولأجل الإجابة على هذه الإشكالات، ولمعرفة نظرة الإمام إلى الحضارة والمدنية. قمت بتتبع تقريرات الإمام ابن باديس-رحمه الله- وفقهه في هذا الباب، للوقوف على إسهاماته العلمية في فقه العمران والاجتماع، وقصدت بذلك إلى تحقيق جملة من الأهداف.

أهداف الدراسة:

غايتنا من هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

-الوقوف على معالم فقه ابن باديس الحضاري، وتقريب آراءه العلمية، وتوضيح نظرته المقاصدية في باب المدنية والعمران وأسباب الرقيّ.

-استمداد قواعد وضوابط العمران من فقه الإمام ابن باديس-رحمه الله-.

-خدمة تراث الإمام ابن باديس-رحمه الله- في باب العمران والاجتماع وتقريبه للدارسين والباحثين في مجال الفقه والاجتماع والعمران.

[1]ينظر :آثار ابن باديس(387/1)، تحقيق :عمار طالبي: دار ومكتبة الشركة الجزائرية الطبعة: الأولى (عام 1388 هـ - 1968 ميلادية) .

المنارة للاستشارات
www.mar

المبحث الأوّل: في بيان حقيقة الحضارة والمدنية عند الإمام ابن باديس–رحمه الله– .

تمهيد:

من الألفاظ المشتهرة في فقه العمران والاجتماع عبارة: "الانسان مدني بطبعه". وهي عبارة منقولة عن متقدمي فلاسفة اليونان، وقد استخدم علماء الإسلام هذا التعبير، واستأنسوا به في بيان حقيقة المدنية، والعمران[1].

وذلك لأنّ مصلحة الإنسان لا تتم إلا بتعاونه مع الناس، لحاجتهم لاجتماع مصالحهم، وتعاونهم على تحقيق المنافع التي تقوم عليها حياتهم.

وظهر عند الدارسين والباحثين في فقه العمران والاجتماع استعمال لفظ المدنية والحضارة.

–ومصطلح المدنية أو التمدن يراد به الاستقرار بالمدن، والدخول في نمط عيشها، والأخذ بأسباب الرقي في العمران [2]. وهو راجع إلى: "الحضارة واتساع العمران"[3].

–و الحضارة هي خلاف للبادية، وقد جاء في الحديث النبوي: " لا يبع حاضر لباد "[4]، وهي من الإقامة في الحاضرة، والاستقرار بالمدن وعمارتها، وذلك أنّ المدينة يحضر اليها الناس ويستقرون بها، ويجلبون اليها مختلف الحرف والصنائع التي تعود على أهلها بالترف والتنعم في العيش، خلافا لأهل البادية فهم مقتصدون في عيشهم ، ومقتصرون على الضروري من الأمور التي تقوم عليها حياتهم من غير توسع في الأخذ بأسباب الرقي [5].

---

[1] قال ابن خلدون في مقدمته: «إنك تسمع في كتب الحكماء قولهم: «إن الإنسان مدني الطبع»، وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿**فاحكم بين الناس بالحق**﴾: «واعلم أن الإنسان خلق مدنيا بالطبع، لأن الإنسان الواحد لا تنتظم مصالحه إلا عند وجود مدينة تامة، حتى أن هذا يحرث وذلك يطحن وذلك يخبز وذلك ينسج وهذا يخيط، وبالجملة فيكون كل واحد منهم مشغولا بمهم، وينتظم من أعمال الجميع مصالح الجميع. فثبت أن الإنسان مدني بالطبع.»، وقال ابن تيمية: «الإنسان مدني بالطبع لا يستقل بتحصيل مصالحه، فلا بد لهم من الاجتماع للتعاون على المصالح».

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب ،حرف الميم، مدن (40/14)، دار صادر، سنة النشر: 2003م.

[3] ينظر: إبراهيم أنيس – عبد الحليم منتصر – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط:(859/2)، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004.

[4] مُتَّفَقٌ عليه: أخرجه البخاريُّ في «البيوع» باب النهي للبائع أَنْ لا يُحفِّل الإبلَ والبقرَ والغنم وَكُلَّ محفَّلةٍ (2150)، ومسلمٌ في «البيوع» (1515)، مِنْ حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف الحاء، حضر(149/4). دار صادر، سنة النشر: 2003م.

المنارة للاستشارات
www.mar

فالمدنية ترجع إلى اجتماع الناس وانتظام أعمالهم، وتعاونهم على تحصيل مصالح دنياهم وما ينفعهم في معاشهم لافتقار بعضهم لبعض في مصالح الدارين.

-كما أنّ الحضارة مرتبطة بالمدن والقرى، وأنها تظهر في زيادة التفنن في العمران، والتأنق في البناء، والاشتغال بالحرف وإتقان الصنائع التي تعود على أهلها بالترف في معيشتهم. وأنّ مراتب الأمم تختلف بحسب إحكامهم لوسائل الرفاهية في العيش.

-ومن خلال ما سبق نجد أنّ المدنية والحضارة باعتبار الاجتماع والعمران شيء واحد، ولا فرق بينهما في المعنى من هذا الجانب، إذ لا مشاحة في الاصطلاح.

-هذا وقد ذهب بعض أهل العلم أنّ سياسة المدنية يجب أن يكون بمقتضى الأخلاق والحكمة لبقاء النوع الإنساني واستمراره، فتكون بهذا القيد أي سياستها وانتظامها بمقتضى الأخلاق والحكمة أعمّ من الحضارة بهذا الاعتبار، كما تكون الحضارة أعمّ ،وأشمل باعتبار القدر الزائد في الرقيّ والتمدن والعمران، وتفاوت الجهود في إتقان العلوم والصنائع لتحقيق ترف العيش [1]، ولأجل ذلك يتفاوت الناس في مراتب التحضر بحسب تفاوتهم في تحصيل وسائل التعمير وامتلاكها. فيكون بينهما بهذه الاعتبارات عموم وخصوص

الفرع الأوّل: حقيقة الحضارة والتمدن في فكر ابن باديس:

يرى ابن باديس-رحمه الله- أنّ مصطلح الحضارة والتمدن يرجع إلى مقصد عمارة الأرض، ولا يتحقق هذا المقصد إلاّ بامتلاك وسائل التعمير.

حيث قرّر الإمام ابن باديس-رحمه الله- حقيقة التمدن في ضوء الشريعة الإسلامية، فقال رحمه الله- في تفسير قوله تعالى :﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾:

"**فأمة أية أمة لا تعمر الأرض إلا إذا ملكت وسائل التعمير وهي كثيرة ومجموعها هو ما نسميه الحضارة أو المدنية**"[2].

-ومن خلال بيانه السابق لحقيقة الحضارة أو المدنية، نجد أنّ مفهومهما في فكر ابن باديس يقوم على مقصد العمران، وامتلاك الوسائل والأسباب التي يقوم بها، وهو في تقريره هذا موافق لمن سبقه من العلماء في بيان حقيقة المدنية والتحضر.

---

[1] ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (172/1)، تحقيق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م

[2] ينظر: الآثار،(70/4)، مصدر سابق.

المنارة للاستشارات
www.mar

–وفي قوله–رحمه الله–"إلاّ إذا ملكت وسائل التعمير وهي كثيرة"، فيه إشارة عامة منه إلى ما يقوم به العمران من العلوم النافعة، كالزراعة، والهندسة، والطب، وما يحتاج إليه من الحرف والصنائع المتقنة، وغير ذلك من الوسائل التي يتوصل بها إلى العيش الرغيد، وعمارة الأرض، واستمرار النوع، ولكثرة هذه العلوم والوسائل وتنوعها ذكرها على سبيل الإجمال وصرّح بكثرتها لأنّه ليس مقام إحصائها وتعدادها.

–كما نجد في بيانه لحقيقة التمدن أنّه لا يرى فرقا بين المصطلحين، واعتبرهما شيئا واحدا، ولأجل ذلك قال:" هو ما نسميه **الحضارة أو المدنية**". ويرجع ذلك لاعتباره لمقصد العمران وتحصيل أسبابه.

–كما يضيف قيودا أخرى مهمة لتحقيق الرقي والتمدن، وتكمن في ضرورة اجتماع الجانب الأخلاقي، وإقامة العدل، ونبذ الظلم، مع التطور في نمط العيش، وامتلاك وسائل العمران.

وهذه القيود والضوابط هي: العلم والإيمان والأخلاق. حيث نعى على الغربيين تفريطهم في بناء حضارتهم على هذه القواعد فقال: "ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدينة الزاخرة بسياج الإيمان والشكر والفضيلة والعدل، وكل مدينة لم تحصن بهؤلاء فمصيرها إلى الخراب"[1].

– كما يرى ابن باديس–رحمه الله– أنّ التمدن الحقيقي ثمرة من ثمار تزكية النفوس وتنزيه الإسلام عن الخرافات والبدع والأوهام التي لحقت به ،سبب عظيم باعث للأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية، وسبب لتوسيع العمران ،ومعالجة الأمراض الفاشية في المجتمعات التي ليست من التمدن الحقيقي.

حيث قال –رحمه الله–:"في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف برزت جريدة "المنتقد" تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون وحرفه الجاهلون. وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم وتزكو نفوسهم وتستقيم أعمالهم وينبعثون عن قوة وبصيرة في **الأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة**. مشاركين لأمم الدنيا في **خدمة الإنسانية وترقية وتوسيع العمران**، سالمين مما تشكو منه أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والأنانية وتفشت فيها أمراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل"[2].

[1] ينظر الآثار:(74/4).

[2] ينظر :الآثار (352/4).

المنارة للاستشارات
www.man

-ولأجل ذلك حذر ابن باديس-رحمه الله- من الدجالين، وأدعياء الزهد والولاية، الذين يسعون على السيطرة على عقول الناس لتحقيق مصالحهم ،ويحولون بينهم وبين خالقهم بالبدع والأوهام التي فيها فساد الاديان، وهلاك العقول والابدان.

حيث قال-رحمه الله-:"-واحذر كل (مترييط) يريد أن يقف بينك وبين ربك ويسيطر على عقلك وقلبك وجسمك ومالك بقوة، يزعم التصرف بها في الكون، فربك يقول لك إذا سألت عنه: "فإني قريب" الآية. ويقول لك: " ألا له الخلق والأمر " وأن الأولياء الصالحين بعيدون، عن كل تظاهر ودعوى بالزهد والتواضع والتقوى، يعرفهم المؤمن بنور الإيمان وبهذا الميزان.

واحذر من دجال يتأجر بالرقي والطلاسم، ويتخذ آيات القرآن وأسماء الرحمن هزوءًا، يستعملونها في التمويه والتضليل، و(القيادة)، و(التفرق)، ويرفقونها بعقاقير سمية فيهلكون العقول والأبدان".

-كما يقرر-رحمه الله- أنّ الحضارة مهما بلغت من الازدهار والتطور فمصيرها إلى الزوال إذا لم تقم على الإيمان والعلم والأخلاق، وأنّ القرآن الكريم دعانا للاعتبار بحال أمة من العرب لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة والاتعاظ بمصارعهم وعاقبتهم والحذر مما أصابهم بسبب جحودهم بآيات الله وتكذيبهم لرسله، وظلمهم وطغيانهم لأنّ سنن الله ماضية في الأمم .

قال –رحمه الله-:"فهذا الوصف البليغ الذي نقرؤه في سورة الفجر صريح بألفاظه ومعانيه في أنه وصف لحضارة عمرانية لا نظير لها، فالعماد لا تكون إلا في القصور والأبنية الباذخة والمدن المخططة على نظام محكم، وقد قال تعالى وهو العالم بكل شيء أنه: ﴿**لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ**﴾ ومدينة هذا وصفها لا تشيدها إلا أُمة لا نظير لها في القوة وآثار الحضارة يتبع بعضها في الضخامة والعظم والوصف القرآني لها **وإن سيق للاتعاظ بعاقبتهم يدل الباحث التاريخي على أنهم بلغوا في الحضارة غاية لا وراءها، وهم أمة عربية. فهذه المدينة شيدت في جزيرة العرب لا محالة. وأن الأقرب في التذكير بهم والاتعاظ بمصيرهم أن تكون الرؤية في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ علمية لأن التذكير عام لمن تتيسر له رؤية العين ولمن لم تتيسر له**، ولو ائتمرت الأمم الإسلامية بأوامر القرآن لنشأ فيها رواد يرودون الجزيرة ويجوبون مجاهلها ولو فعلوا لأمكن أن يعثروا على آثار هذه المدينة أرض عاد وهي معروفة ويجمعوا بين الرؤية البصرية والرؤية العلمية وبين العلم والاتعاظ وإننا لا نعبأ في مقام البحث العلمي بما حف هذه الحكاية من أساطير. ولا بما وقع فيه شيخ المؤرخين ابن خلدون حينما تعرض لنقض تلك الأساطير"[1].

[1] ينظر: الآثار (69/4).

المنارة للاستشارات
www.mar

الفرع الثاني: بيانه لسابقة الإسلام في وضع أصول المصالح التي قام عليها التمدن:

حيث قرر في مبحث نَظَافَةُ الطُّرُقِ وَالْمَجَالِسِ أَوْ مَصْلَحَةٌ مِنْ مَصَالِحِ الْبَلَدِيَّةِ. في شرحه لحديث رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ–: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ». رواه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنهم) [1].

أنّه من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها، مصلحة التنظيف في الإدارات البلدية. (من الوظائف السلطانية)

وقرر–رحمه الله– أنّ مصطلح الطرق يشمل كل الطرق المؤدية إلى البيوت أو الأسواق والقرى وموارد الماء والطرقات كلها، ومثل المكان الذي اتخذه الناس للجلوس في ظله **كل مكان اتخذوه للجلوس فيه لمنفعة من منافعهم** فيدخل في ذلك الأسواق والمنتزهات وغيرها، فكل ذلك مما يحرم التخلي فيه ويلحق بالتخلي وضع القذر والوسخ والزبل والشوك وكل ما فيه مضرة لما في الجميع من التعدي والإذاية.

–وقال أيضا –رحمه الله–: كما انتظم الحديث الصحيح المتقدم النهي عن تقذير الطرقات والأماكن العامة بذلك الترهيب الشديد كذلك جاء الترغيب في تنقيتها وإزالة الأذى عنها شاملا ذلك ما كان من المستقذرات وغيرها من كل ما فيه أذى، فقد ثبت في الصحيح أنّ أبا برزة الأسلمي– رضي الله عنه– قال للنبي– صلى الله عليه وآله وسلم–: يا نبي الله علمني شيئا انتفع به، فقال صلى الله عليه وسلم: «**أعزل الأذى عن طريق المسلمين**»[2].

وثبت قول صلى الله عليه وسلم: بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره فشكر الله له فغفر له. وإذا كانت إزالة الأذى عن الطريق– ومثلها كل مجتمع عام– فيها الأجر والمثوبة فوضع الأذى فيه الاثم والعقوبة.

–من أحسن المصالح التي يقوم عليها اجتماع الناس في التمدن الحاضر وألزمها، مصلحة التنظيف في الإدارات البلدية، وأنت ترى أن الأحاديث النبوية المتقدمة **قد انتظمت ذلك التنظيف بالترهيب من التقذير وكل مؤذ، والترغيب في إزالتها، فوضع الإسلام بذلك أصل هذه المصلحة قبل أن يعرفها تمدن اليوم**، فعلى المسلم أن يلتزم ذلك كأمر ديني يثاب عليه عند ربه ليكون دافعه إلى القيام به من نفسه ورقيبه في تنفيذه ضميره الديني وإيمانه، وقد شهد التاريخ لمدن الإسلام أيام مدنيته الزاهرة بانفرادها بين مدن

[1] أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (296).

[2] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (2618).

المنارة للاستشارات
www.mar

عصرها النظافة وحسن المظهر، وما ذلك إلا من تطبيق مثل ما تقدم **مما وضعه الإسلام من أصول المصالح التي تقوم عليها الحياة ويترقى بها المجتمع**. فعلينا- معشر المسلمين- أن نعني بما دعتنا إليه هذه الأحاديث النبوية الشريفة لنكون بين الناس مثلا حسنا راقيا في النظافة البلدية لنفع أنفسنا ومجتمعنا ونرفع اسم ديننا ونفوز بالأجر والرضى من ربنا[1].

-كما يرى ابن باديس-رحمه الله-أنّ آيات القرآن صريحة في الدعوة إلى تعلم العلوم الكونية، وأنّ علماء الإسلام قد عملوا في ضوئها على الرقي والازدهار في زمن نهضة الأمة الاسلامية، وأن العلماء الأوربيين المعاصرين قد شهدوا لهم بالفضل والسابقة في ذلك.

كما حذر ابن باديس-رحمه الله-من أصناف من الناس يدعون التعلم، ويقومون بتزهيد الناس في العلوم الكونية النافعة ويدعونهم إلى الاقتصار على بعض العلوم والاكتفاء بها

حيث قال-رحمه الله-:"-فاحذر كل (متعيلم) يزهدك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسان ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة، وخدم علماء الإسلام بالتحسيس والاستنباط ما عرف منها في عهد مدنيتهم الشرقية والغربية حتى اعترف باستاذيتهم علماء أوروبا اليوم".

الفرع الثالث: في بيان مفاسد المدنية الغربية:

-يرى ابن باديس -رحمه الله- أنّ المدنية عند الغرب قائمة على الماديات مخالفة للأصول التي جاء بها القرآن من حق وعدل ورحمة، كما أنكر على بعض الناس افتتانهم بالمدنية الغربية القائمة على القوة وما جلبته للإنسانية من أصناف البلاء، ونعى عليهم تنزيل آية من كتاب الله وتطبيقها على هذا الصنف من المدنية الزائفة

حيث حذر ابن باديس-رحمه الله- من تحريف بعض الناس وسوء فهمهم للمراد من قول الله تعالى:﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾.

قال -رحمه الله-: رأى بعض الناس المدنية الغربية المسيطرة على الأرض- وهي مدنية مادية في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوة عندها فوق الحق والعدل والرحمة والإحسان- فقالوا إن رجال هذه المدنية هم الصالحون الذين وعدم الله بإرث الأرض. وزعموا أن المراد بالصالحين في الآية: الصالحون لعمارة الأرض. فيالله للقرآن وللإنسان، من هذا التحريف السخيف، كان عبارة الأرض هي كل شيء ولو ضلت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجت الأعمال وساءت الأحوال، وعذبت الإنسانية بالأزمات الخانقة، وروعت

[1] ينظر: ا لآثار :(2/171-172) .

المنارة للاستشارات
www.mar

بالفتن والحروب المخربة الجارفة وهددت بأعظم حرب تأتي على الإنسانية من أصلها والمدنية من أساسها، هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية التي عمرت الأرض وأفسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرف أن يطبق عليها آية القرآن: كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان، وإصلاح الإنسان ليصلح العمران. فأما الصالحون فهو لفظ قرآني قد فسره القرآن كما قدمناه وقد شرَّف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله: ﴿**عِبَادِي**﴾ فحمله على الصالحين لعمارة الأرض تحريف للكلام عن مواضعه أبشع التحريف وأبطله فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين.

–فعلى الأمم التي تريد أن تنال حظها من هذا الوعد أن تصلح أنفسها الصلاح الذي بينه القرآن، فأما إذا لم يكن لها حظ من ذلك الصلاح فلا حظ لها من هذا الوعد، وإن دانت بالإسلام. ولله سنن نافذة بمقتضى حكمته ومشيئته في ملك الأرض وسيادة الأمم يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء من أخذ بنوع من تلك السنن بلغت وبلغ بها إلى ما قدر له من عز وذل وسعادة وشقاء وشدة ورخاء وكل محاولة لصدها عن غايتها– وهو آخذ بها– مقضي عليها بالفشل. سنة الله، ومن ذا يبدلها أو يحولها؟"[1].

المبحث الثاني: في أصول المدنية وضوابط لعمارة الأرض.

بيّن ابن باديس –رحمه الله– القواعد الشرعية الضوابط المرعية للمدنية، وبيّن أنّ السنّة النبوية وضعت أصول المدنية والعمران وضبط أمور الدولة في ضوء الإسلام ،حيث قرّر –رحمه الله– أنّ الإسلام الذي جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم هو أبو المدنية أمس واليوم– ويعني بمدنية اليوم المدنية من جهة العلم والعمران، لا من جهة الأخلاق والاجتماع فهنالك ما يتبرأ منه الإسلام .

–كما أسهم ابن باديس–رحمه الله– في بيان الضوابط الشرعية لاستمرار المدنية وبقائها. حيث يرى أنّ الإسلام يدعوا إلى حراسة التمدن بسياج الإيمان والشكر والفضيلة والعدل وكل مدينة لم تحصن بهؤلاء فمصيرها إلى الخراب فتكون الحضارة مادية آيلة إلى الزوال.

وأنّ أسرار الكون والعمران مبثوثة في كتاب الله تعالى وأنّ القرآن شوّق إلى الاهتداء إلى علوم الأكوان.

–كما نبّه –رحمه الله– على أنّ بناء النهضة الحضارية غير محتكر على الرجال وأنّه من الضرورة إشراك النساء في بناء الحضارة والعمران .

[1] ينظر: الآثار (256/1).

المنارة للاستشارات
www.mar

الفرع الأوّل: في الترغيب في العلم والاطلاع على أسرار آيات العمران:

يرى ابن باديس –رحمه الله– أنّ القرآن الكريم وكتاب العمران بما يحتاج إليه العمران مما يصلح أحوال البشر وما يتصل بالبشر، وكتاب السعادتين الدنيوية والأخروية، كانت العلوم التي تخدم ذلك كله من علوم الإسلام[1].

ويرى كذلك أنّ الإسلام دعا إلى العلم ورغّب فيه، وأنّ القرآن يحتوي على أسرار العمران والمدنية.

قال–رحمه الله–: "قد دعانا الله إلى العلم ورغبنا فيه في غير ما آية وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السموات وما في الأرض جميعاً وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا، وأعلمنا هنا أن في هذه المخلوقات أسراراً بينها القرآن واشتمل عليها وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم والتعمق في البحث لنطلع على كل ما نستطيع الإطلاع عليه **من تلك الأسرار: أسرار آيات الأكوان والعمران وآيات القرآن فنزداد علماً وعرفاناً ونزيد الدين حجة وبرهاناً ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم**، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم. فقهنا الله في كتابه، ووفقنا إلى الاهتداء به، والسير على سننه"[2]

وقال –رحمه الله –في تقرير هذا الأصل تحت مبحث:

–تشويق القرآن إلى علوم الأكوان: من أساليب الهداية القرآنية إلى العلوم الكونية أن يعرض علينا القرآن صوراً من العالم العلوي والسفلي في بيان بديع جذاب يشوقنا إلى التأمل فيها والتعمق في أسرارها، وهنا يذكر لنا ما خبأه، في السموات والأرض لنشتاق اليه. وتبعث في البحث عنه واستجلاء حقائقه ومنافعه غريزة حب الاستطلاع ومعرفة المجهول وبمثل هذا انبعث أسلافنا في خدمة العلم واستثمار ما في الكون إلى أقصى".

جمعت جميع أصول السعادة في هذه الحياة: بالعمل مع الجدِّ فيه والمحبة له والرجاء في ثمرته، الذي به قوام العمران. وبالرضا والتسليم للمَوْلى، الذي به طمأنينة القلب وراحة الضمير، وبالكف للقلب واليد عن الناس، الذي به الأمن والسلام. ويذكر تعالى علم عدد السنين المتضمن لعدد الشهور والأيام والساعات تنبيهاً لخلقه على ضبط الأعمال بالأوقات. فإنَّ نظام الأعمال واطرادها وخفتها والنشاط فيها وقرب انتاجها إنَّما هو بهذا الضبط لها على دقائق الزمان، كما ذكر–تعالى– جنس الحساب تنبيها على لزومه لهذا الضبط ولجميع شؤون

---

[1] ينظر :الآثار (226/3).

[2] ينظر: الآثار: (387/1).

المنارة للاستشارات
www.mar

الحياة من علم وعمل. فكل العلوم الموصلة إلى هذا العد وهذا الحساب هي وسائل لها حكم مقصدها في الفضل والنفع والترغيب..." [1]

وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل.

الفرع الثاني: ضرورة العناية بالعلم والأخلاق لقيام مدنية الأمة.

يرى ابن باديس –رحمه الله– أنّ ارتقاء الإنسان في مدارج الكمال يرجع إلى أصلين هما العلم الصحيح والخلق المتين وأنّ نهضة العرب ومدنيتهم قامت على هذين الأصلين .

– قال –رحمه الله – في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**﴾: "**العلم الصحيح والخلق المتين** هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان ... وبقدر ما تكثر معلومات الإنسان ويصح إدراكه لحقائقها ولنسبها ويستقيم تنظيمه لها تكثر اكتشافاته واستنباطاته في عالمي المحسوس والمعقول وقسمي العلوم والآداب. وهذا كما كان العرب والمسلمون أيام قرون مدنيتهم؛ عربوا كتب الأمم إلى ما عندهم، ونظروا وصححوا واستدركوا واكتشفوا، فأحيوا عصور علم من كانوا قبلهم، وأناروا بالعلم عصرهم، ومهدوا الطريق ووضعوا الأسس لمن جاء بعدهم، فأدوا لنوع الإنسان بالعلم والمدنية أعظم خدمة تؤديها أمة في حالها وماضيها ومستقبلها".

الفرع الثالث: من أعظم قواعد العمران والاجتماع في تكوين الأمم المساواة بين البشر:

استنبط ابن باديس–رحمه الله– هذه القاعدة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم–: «**أيها الناس، الرب واحد والأب واحد، وأن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي**»[2]. وقرّر أنّ من ثمار انتشار التمدن الإسلامي العربي الذي أنار العالم شرقا وغربا، وأنّه السبب الذي قامت به نهضة الغرب والأساس لمدنية اليوم.

حيث قال –رحمه الله–:"فانظر بعد هذا إلى ما قرره هذا النبي الكريم، رسول الإنسانية ورجل القومية العربية، في الحديث المتقدم فقضى بكلمته تلك على العصبية العنصرية الضيقة المفرقة، فنبه على تساوي البشر في أنهم كلهم مخلوقون لله فربهم واحد وأنهم كلهم كل من عنصر واحد فأبوهم آدم واحد، وذكر بأخوة دين الإسلام دين الأخوة البشرية والتسامح الإنساني، ثم قرر **قاعدة عظمى من قواعد العمران والاجتماع في تكوين الأمم. ووضع للأمة العربية قانونا دينيا اجتماعيا طبيعيا لتتسع دائرتها لجميع الأمم التي**

---

[1] ينظر الآثار:(1/197-198).

[2] رواه ابن عساكر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً ،وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ،ينظر السلسلة الضعيفة رقم:(926).

المنارة للاستشارات
www.mar

رشحت لدعوتها إلى الإسلام بلغة الإسلام. وقد كان ذلك من أعظم ما سهل نشر الهداية الإسلامية وتقارب عناصر البشرية وامتزاجها بعضها ببعض حتى كان ثمرة اتحادها وتعاونها ذلك التمدن الإسلامي العربي الذي أنار العالم شرقا وغربا، وكان السبب في نهضة الغرب والأساس لمدنية اليوم. وبذلك أيضا كانت الأمة العربية اليوم تجاوز السبعين مليونا عدا لا تخلو منهم قارة من قارات المعمور"[1].

ولأجل هذا كان –رحمه الله– يدعوا إلى **تيسر العيش للناس ونشر العلم والصناعات بينهم ليتحولوا إلى التمدن** والرفق بهم والتسوية بين الفريقين فإذا تمت هذه الأمور كمل بناء الأساس ووجب شكر الصانع الذي خدمه وهم الحكام ويكون بعد ذلك تمام القصر وزينته حصول المؤاخاة بين الناس، وصفو الباطن وتمام العافية والرفاهية في العيش. ونرغب من وقف على غلط في شيء مما قلناه فيصفح كما هو شأن الكرام والسلام[2]

الفرع الرابع: ضرورة مشاركة النساء في بناء النهضة والعمران:

يقرر ابن باديس–رحمه الله– أنّ النهضة الحقيقية للمسلمين لا تتم إلا بمشاركة النساء في تشييدها في المجالات التي يمكن للمرأة المساهمة فيها وفق الضوابط الشرعية و الأحكام التي تخص النساء.

قال –رحمه الله–:"لا تقوم الحياة إلا على النوعين اللذين يتوقف العمران عليهما، وهما الرجال والنساء، وفي الإسلام كتابه وحياة رسوله– صلى الله عليه وآله وسلم– وتاريخ بدايته– آيات وأنباء ووقائع تدل على ذلك وتدعو إلى اعتباره والعمل بموجبه. وانظر إلى حظ المرأة في السَّبق إلى تأييد الإسلام بالنفس والمال، والعطف والحنان، فأول مال وجده رسول الإسلام– صلى الله عليه وآله وسلم– هو مال خديجة، وأول عطف لقيه، وأول قلب انفتح لسماع كلمة النبوة– كما في حديث بدء الوحي– هو عطف خديجة وقلب خديجة، وأول شهيدة في الإسلام – كما اتفق عليه علماء السيرة– هو سُمية. **فلن ينهض المسلمون نهضة حقيقية إسلامية إلا إذا شاركهم المسلمات في نهضتهم في نطاق عملهن الذي حدده الإسلام وعلى ما فرضه عليهن من صون واحتشام**".[3].

---

[1] ينظر الآثار (20/4).

[2] ينظر: الآثار: .(32/4).

[3] ينظر: الآثار:(116/4-117)

المنارة للاستشارات
www.mar

المبحث الثالث: في تحقيق مقصد الاجتماع والترافق والتعاون للتقدم في العمران.

يرى ابن باديس –رحمه الله تعالى– ضرورة الاجتماع والتعاون للتقدم في العمران، وأنّ الناس كلهم في حاجة مشتركة إلى بعضهم. وما من أحد إلاّ وله حقوق على غيره، ولغيره حقوق عليه .ولهذه الحاجة المشتركة والحقوق الممتزجة **كان الاجتماع والتعاون ضروريين لحياة المجتمع البشري واطراد نظامه**. وقيام كل واحد من أفراد المجتمع بما عليه من حقوق نحو غيره هو الذي يسد تلك الحاجة المشتركة بين الناس. وعندما يؤدي كل واحد حق غيره فليست خدمته له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله. وبالآخرة هي خدمة له هو في نفسه لأنه جزء من المجتمع وما يصيب الكل يعود على جزئه. فاذا تواردت أفراد المجتمع على هذه التأدية سعدت وسعد مجتمعنا بنيله حاجيات الحياة ولوازم البقاء والتقدم في العمران. أما إذا توانى الأفراد في القيام بالحقوق وقصروا في تأديتها إلى بعضهم فإن الحاجة المشتركة من العلم والثقافة وحفظ الصحة والأخلاق وأنواع الصناعة– تتعطل، وبتعطلها يختل نظام الاجتماع ويعود إلى الانحلال والتقهقر، وينحظ بأفراده إلى أسفل الدركات، فلهذا بعد ما أمر الله تعالى بإيتاء حقه– وهو توحيده في عبادته– أمر بإيتاء حقوق العباد، القريب[1].

–قال–رحمه الله–:" إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله، ورسوله، إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر، وتدبر، وتتشاور، وتتآزر وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة. ولهذا قرن الله في هذه الآية بين الإيمان بالله ورسوله والحديث عن الجماعة وما يتعلق بالإجتماع، فيرشدنا هذا إلى خطر أمر الإجتماع، ونظامه، ولزوم الحرص، والمحافظة عليه، كأصل لازم للقيام بمقتضيات الإيمان وحفظ عمود الإسلام"[2].

–وقد حرص على توظيف هذا المقصد في فتاويه وآراءه. ومن ذلك فتواه حول كراء الأسواق العامة، حيث اعتبرها ملكا عاما تنوب فيه البلدية عن المواطنين وتتصرف فيه بالمصلحة. وهو في هذا يقرر مقصدا مهما يتمثل في تسيير الممتلكات العامة وتنظيم الأسواق.

حيث سئل عن حكم كراء الأسواق العامّة، وأخذ ثمن الدخول على أرباب المواشي والسلع؟

فأجاب –رحمه الله– بأنّ المعروف أنّ هذه الأسواق هي ملك للبلدية وإذا قلنا هي ملك للبلدية فهي ملك للعامّة التي تنوب عنها البلدية فللبلدية أن تبيع منفعتها بثمن معلوم إلى أجل معلوم فيجوز اكتراؤها منها

[1] ينظر : الآثارك (239/1).

[2] ينظر الآثار (370/1).

المنارة للاستشارات
www.mar

كذلك. ويجوز للمكتري أن يكري الإنتفاع بها كذلك فيجوز له أن يأخذ على كل داخل لماشيته أو سلعته أجرا في مقابلة انتفاع ذلك الداخل بالمكان الذي يحل فيه والذي هو مملوك المنفعة لصاحب السوق، ونظيره من اكترى إصطبلا ثمّ يأخذ على أرباب المواشي أجرة بقاء مواشيهم في إصطبله مدّة محدودة. [1].

وبيّن–رحمه الله–أنّ كراء الأسواق من جنس الإجارة وهي جائزة لا من المكس المحرم فقال:

–المكس في اللغة هو النقص ويطلق على ما يؤخذ من بائع السلعة ظلماً والمكاس هو الآخذ لذلك، وجاء في شأنه من الوعيد حديث «**لا يدخل الجنة صاحب مكس**» رواه أبو داوود وغيره[2]. وقد كانت الأسواق ملكاً مشاعا بين الناس يقفون فيها بسلعهم فكان أخذ فرد المكس منهم ظلما لهم هذه هي حالة الأسواق في العهد القديم، **أما اليوم فإن أوضاع الأسواق صارت على شكل آخر وذلك أن العامة الذين هم ملاك الأسواق وغيرها من الأماكن العامة يحتاجون في القيام بمصالحهم المدنية من تنظيف أقنية وإنارة شوارع وتعبيد طرقات ونظام أمن، وغير ذلك من المرافق التي تتولاها المجالس البلدية فكانت البلدية تتصرف في الأسواق التي هي ملك للعامة في مصلحة العامة وكانت العامة المالكة لتلك الأسواق قد نوبت عنها نوابا فوَّضت لهم أن يتصرفوا في ممتلكاتها لأجل مصلحتها فأولئك النواب الذين هم وكلاء العامة هم أعضاء البلدية** يعرض السوق للكراء بالمزاد فيكتريه زيد أو عمر فهذا المكتري قد اكترى شيئا معينا بثمن معين من نواب مالكيه، وهم العامة فقد وجدت أركان عقد الإجارة كلها فكان هذا العقد لذلك صحيحا جائزاً.

–كما أعمل هذا المقصد في فتواه حول اشتراط اتصال البنيان في صحة الجمعة

حيث قال –رحمه الله في الجواب:

ليس في اشتراط اتصال بنيان القرية حديث إنّما مرجع المسألة للنظر، وقد أفتى بعض الفقهاء باشتراط الاتصال ولكن الإمام الآبي تلميذ ابن عرفة بعد ما ذكر هذه الفتوى في شرحه على صحيح مسلم قال: والأظهر أنّهم إن كانوا من القرب بحيث يرتفق بعضهم ببعض في ضروریاتهم والدفع عن أنفسهم جمعوا. لأنهم –وهم كذلك– بحكم القرية المتصلة البنيان. وما قاله الآبي نقله الحطاب وسلمه وزاده تأييدا بما نقله من جزم صاحب الطراز بعدم اشتراط الاتصال واستدلاله بأن بعض بيوت القرية قد يخرب فيحصل الانفصال ومع ذلك لا يضر ما لم يبعد ما بين البيوت، **ولما كان المقصود من القرية هو الترافق والتعاون** فإذا حصلا

[1] ينظر الآثار (411/1).

[2] أخرجه أبوداود في السنن كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في السعاية على الصدقة(3937).

المنارة للاستشارات
www.mar

فأهل تلك البيوت قرية وإن انفصلت بيوتها فهي في حكم الاتصال، فالقرية الواقعة في السؤال إذا كانت بيوتها على هذا الوجه فإنّها تجمّع ولا يضر الانفصال.

المبحث الرابع: في ضابط تقرر الأمن واطراد العمران وأسباب التقدم في العمران.

يرى ابن باديس–رحمه الله– أنّ التقدم في العمران مرتبط ارتباطا وثيقا بتوفر نعمة الأمن، وأنّ اضطراد العمران منوط بتوفرها، وأنّ بقاء المدنيات واستمرارها يكون بالايمان بالله، وشكر نعمه و الحرص على إقامة العدل ونبذ الظلم.

حيث قال–رحمه الله–:"ولا يتم العمران إلا بالأمن، **ولكن فات القوم أن يحصنوا هذه المدينة الزاخرة بسياج الإيمان والشكر والفضيلة والعدل، وكل مدينة لم تحصن بهؤلاء فمصيرها إلى الخراب**، والناس من قديم مفتونون بعظمة المظاهر يحسبون أنها خالدة بعظمتها باقية بذاتها، فالقرآن يذكر لنا كثيراً من مصائر الأمم حتى لا نغتر بمظاهرها وحتى نعلم أن سنة الله لا تتخلف في الآخرين كما لم تتخلف في الأولين"[1].

–هذا ومن بديع استنباطاته في تفسير لقول الله تعالى ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، تقريره أنّ لمراعاة القول الحسن في التخاطب بين الأفراد والعشائر والأمم، أثرا بالغا في تقرر الأمن واضطراد العمران لما فيه من أسباب المحبة والسلام والألفة والتعاون والتفاهم.

حيث قال–رحمه الله–:" والكلام به يتعارف الناس ويتقاربون، وبه يتحاجون ويتفاضلون، ولولاه لما ظهرت ثمرات العقول والمدارك، ولما تلاحقت الأفكار والمشاعر، ولما تزايدت العلوم والمعارف، ولما ترقّى الإنسان في درجات أنواع الكمالات، ولما امتاز على بقية الحيوانات.

فهو رابطة أفراد النوع الإنساني وعشائره وأممه. وبريد عقله وواسطة تفاهمه. فإذا حسن قويت روابط الألفة، وتمكنت أسباب المحبة، وامتد رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم. وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي على التعاون والتآزر، **وجنى العالم من وراء ذلك تقرر الأمن واطراد العمران**. وإذا قبح كان الحال على ضد ذلك. فالكلام السيء قاطع لأواصر الأخوة، باعث على البغضاء والنفرة، يبعد بين العقول فتحرم الإسترشاد والإستمداد والتعاون بين القلوب فتفقد عواطف المحبة وحنان الرحمة. وهما أشرف ما تتحلى به القلوب، وإذا بطلت الرحمة والمحبة بطلت الألفة والتعاون، وحلت القساوة والعداوة، وتبعهما التخاصم والتقاتل، وفي ذلك كل الشر، لأبناء البشر". فالمحصل للناس سعادتهم وسلامتهم، والمبعد لهم عن

[1] ينظر الآثار:(74/4).

المنارة للاستشارات
www.man

شقاوتهم وهلاكهم- هو القول الحسن، ولهذا أمر الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يرشد العباد إلى قول التي هي أحسن فقال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

المبحث الخامس: من وصايا ابن باديس في أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل والتمدن والرقيّ

ذكر الإمام بن باديس-رحمه الله تعالى- جملة من الوصايا النافعة ذكرها مختصرة على وجه الإجمال، ترتقي بمن تمسك بها للسعادة والسيادة وتحقيق المدنية والرقي.

حيث قال-رحمه الله-:

-هاك آدابًا تقتضيها إنسانيتك ويفرضها عليك دينك وتستدعيها مصلحتك في هاته الحياة.

-هاك ما أن تمسكت به كنت إنسان المدينة ورجل السياسة وسيدا حقيقيا يرمق من كل أحد بعين الاحترام والتعظيم.

-حافظ على صحتك فهي أساس وشرط قيامك بالأعمال النافعة لفنسك ولغيرك، تجنب العفونة فإنها مصدر جراثيم الأمراض ومثار نفور وبعض لطلعتك، ومجلبة سببً لجنسك ولديك الشريف البريء منك في مثل هذه الحال.

-نظف بدنك، نظف ثوبك، تبعث الخفة والنشاط في نفسك، وتنيل في عين غيرك وتجلبه إلى الاستئناس بمعاشرتك.

-فقه أهلك وولدك ومن إلى رعايتك مما تقي منه نفسك، وسيرهم على نظام صحي وقانون أدبي تكفل سعادة عائلتك ورخاء عيشتك، وهدوء بالك.

-حافظ على عقلك فهو النور الإلهي الذي منحته لتهتدي به إلى طريق السعادة في حياتك...

-حافظ على مالك فهو قوام أعمالك، فأسلك كل سبيل مشروع لتحصيله وتنميته، وأطرق كل باب خيري لبذله.

-وأحذر بالورعة المضاربات الربوبة في معاملاتك، ومن مسارب السرف في جميع ملذاتك إذا كانت من المباحات، دع ما إذا كانت من المحرمات.

-حافظ على حياتك، ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك، وإذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل.

المنارة للاستشارات
www.man

–كن عصريًا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك. كن صادقًا في معاملاتك بقولك وفعلك.

–احذر من التوحش فإن المتوحش في عصر المدنية محكوم عليه طبيعيا بالتناقض ثم الفناء والاضمحلال والاندثار، كما فنيت جميع الأمم المتباعدة عن التمدن والرقي[1].

الخاتمة:

نذكر في ختام بحثنا هذا أهم النتائج والفوائد المستخلصة من الدراسة وهي:

–أهمية العناية بأسرار الكون والعمران المبثوثة في كتاب الله ودراستها واستنباط الأحكام والقواعد المتعلقة بها.

–وأنّ المدنية أو الحضارة ترتكز على تحقيق مقصد العمران، وامتلاك أسباب الرقيّ، وحماية ذلك بسياج الأخلاق الإيمان.

– وأنّ التمدن الحقيقي يقوم بالعلم والأخلاق، وأنه من ثمار الإيمان وتزكية الأنفس وأنّ الاسلام قد بيّن أصول وضوابط وشروط التقدم في العمران والاجتماع خلافا للمدنية الغربية القائمة على الماديات.

–أنّ توسيع العمران مقصد شرعي وفقه قرآني يتم تحصيله أهمية بالأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية.

–أنّ من أسباب التقدم في العمران تحقيق مقصد الاجتماع والتعاون والارتفاق.

–كما أنّ التقدم في العمران منوط بتحقيق نعمة الأمن، وأنّ المساواة بين البشر قيد مهم لبناء النهضة.

–معرفة الأمراض الفاشية في المجتمعات التي ليست من التمدن الحقيقي ومعرفة سبل علاجها وتقويمها.

– ضرورة مشاركة النساء في بناء النهضة ينهض المسلمون في نطاق عملهن الذي حدده الإسلام وعلى ما فرضه عليهن من صون واحتشام.

ولأجل ذلك ينبغي للباحثين بيان السبل والمجالات التي ينبغي للمرأة الإسهام فيها لبناء نهضة حقيقية إسلامية.

– نخلص كذلك إلى أنّ ابن باديس–رحمه الله– أولى عناية كبيرة بتاريخ العرب في القرآن الكريم وما شيدوا من مدن وحضارات وله في ذلك نظرة متميزة وتحليل دقيق يحتاج إلى خدمته بالبحث والدراسة.

[1] ينظر: جريدة الشهاب عدد 94، السنة الثالثة، 15 صفر 1345 هـ / 23 أوت 1926 م.

المنارة للاستشارات
www.mar

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

-صحيح الإمام البخاري.

-صحيح الإمام مسلم.

-سنن أبي داود.

-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، سنة النشر: 2003م.

-إبراهيم أنيس – عبد الحليم منتصر – عطية الصوالحي – محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، سنة النشر: 2004.

-الفخر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتح الغيب، دار الفكر، سنة النشر: 1401 – 1981.

-ابن تيمية، تلخيص كتاب الاستغاثة، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1417 هـ.

-ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة: 1411 هـ– 1991م.

-ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، طبعة: بيت الفنون والعلوم والآداب، الطبعة: الأولى، سنة: 2005م.

-ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

-آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي: دار ومكتبة الشركة الجزائرية الطبعة: الأولى (عام 1388 هـ - 1968 م) .

المنارة للاستشارات

www.mar